

أَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلِي كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ



الأحد 18 مايو 2014 12:05 م

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ورحمة الله للعالمين

وبعد

يشعر بعض المعارضين للانقلاب بشيء من استبعاد عودة الشرعية وعودة الرئيس ويقولون :حتى لو عاد الرئيس فكيف ستسير الأمور مع كل هذا الفساد وإحراق البلد والضياع الاقتصادي؟! وينتابهم شيء من اليأس والقيود والاستسلام . ويَدْعِي كثير من مؤيدي الانقلاب استقالة عودة الرئيس والشرعية ويعلوهم الكبر والخيلاء . والذي يحمل أولئك علي شعورهم وهؤلاء علي ادعائهم هو عدم معرفتهم بالله الحق . وإلي هؤلاء وأولئك يقص القرآن أحسن القصص ليربط علي قلوب المؤمنين وينذر المعاندين لعلمهم يرجعون .

محاكاة النمرود:

يحكي القرآن الكريم حواراً بين إبراهيم عليه السلام ومليك في أيامه يجادل فيه الله . فبدأ كل غادر مكار متكبر مختال ويا كل مستضعف مطارد ألم تقرأ في كتاب الملك القدير عز وجل { أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِي جَاءَ بِإِبْرَاهِيمَ فِي رَيْبِهِ } [البقرة : 258] فهذا الملك المتجبر نسي ربه وعاند وتكبر واختال { أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ } وظن لأنه ملك أنه هو القيوم المدبر وأنه بيده مقادير الأمور فيحكم علي هذا بالإعدام وعلي ذاك بالمؤبد ويمنح غيرهما البراءة ، وما من أمر يفكر فيه إلا سارع عبيد بيادته إلي تنفيذه ، وبلهثون لإرضائه ولا يجرؤ أحد علي عصيانه فهو إذا إله يحيي ويميت .

ولا شك أن هذا الملك كان له مواطنون شرفاء - طبعاً كما يدعي إعلامه - يصدقونه ويحملونه علي تصديق نفسه وربما طلب منهم تفويضاً لمحاربة إرهاب إبراهيم فنزل النساء يرقصن علي أغنية تسلم الأبيادي وتسلم العقول التي تفكر هذا التفكير ووصفوه بالفحولة وأنه جذاب للنساء والرجال وحملوا بيادته علي رؤوسهم . ولا شك كذلك كان المنتفعون من تأليهه يصفقون له ويساندونه ، وما من ملك ظالم إلا له جيش وشرطة يقيمون المعارضين ، وقضاة يبرئون المتهم ويتهمون البراءة .

وظن كل هؤلاء بجهلهم بالله أن الله خارج هذه المعركة أعني معركة الحق والباطل وكان يجدر بهم أن يتوجهوا للواحد القهار بالشكر والعبودية فهو الذي وهبهم الملك الذي به يتجبرون ومنحهم العقل الذي به يمكنون ، خدعهم ملكهم وخانهم تفكيرهم .

{ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ } وليس الإحياء والإماتة التي توهمها هذا الملك بضالة تفكيره ، بل هو سبحانه خالق الموت والحياة وخالق ما في الكون من الفيرس إلي المجرة ولا يعجزه شيء ، أوليس الذي خلق بقادر علي أن يدبر وينصر ويحفظ خلقه وعباده !!؟

وما تمادي إبراهيم في دحض هذه الخرافة فهي مردودة بنفسها فهل يستطيع هؤلاء علي تحصين أزواجهم وبناتهم من الرذيلة ومن أن يفضحهم فتتحدث بعجزهم كل الألسنة وماذا لو تسلسل الفيرس إلي أجسادهم أو أجساد أبنائهم فتحولوا إلي لحم علي عظم فهل سيمنع سلطانهم عنهم الأذى فضلا عن الموت .

فيا أيها المتجبر يا من نسيت نفسك وحاربت ربك { ... فَإِنَّ اللَّهَ يُاتِي بِالسُّفْهِانِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ } إن للكون سنن فإن كنت ربا فلتغير هذه السنن فلتخترع علاجاً للسرطان أو الإيدز الذي قد يصيبك وإن لله إرادته فلتغيرها إن استطعت { فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ } إنهم يكذبون ويعلمون أنهم يكذبون وكذبهم واضح ولكنهم يكابرون وحتى لو أفلسوا وما عادت لهم حجة أو دليل فهم يراوغون ويزداد بهتانهم وتلفيقهم { وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } ويختم ربنا الحوار بهذه السنة فلا هداية للظالمين لأنهم ما أرادوا الحق يوماً وما قصدوه ولو رغبوا فيه لهداهم الله إليه .

ويا لحقارة هذا المتأله نهايته بحشرة هو لا يساوي أكبر منها أصابه الله بحشرة أو قمل فيرس استقر في رأسه فكان لا يهدأ إلا بالضرب بالنعال علي أم رأسه وهكذا يصنع الله بالجبابرة الغادرين .

ما شاء الله كان :

{ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا } هذا المار الذي لم يصرح القرآن باسمه مر علي القرية التي لم يصرح القرآن باسمها وجد خراباً في كل شيء خالية من الناس لا عمار فيها فقد خربت بناياتها وحتى ساكنوها ما بقي إلا حطامهم لقد مات كل شيء . وقف هذا المار متعجباً متسائلاً { أَلَيْسَ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا } إنه يؤمن بالله وأنه القيوم والناصر والمعين ولكنه يتساءل عن كيفية

إزالة كل هذا الخراب والظلم والجبروت الذي دمر هذه القرية فلا يوجد سبب واحد يدعو إلي التفاؤل فكيف تبني نهضة من جديد علي هذا الركام ؟!

يقول سيد قطب :لم يقل له كيف إنما أراه في عالم الواقع كيف ! فالمشاعر والتأثرات تكون أحياناً من العنف والعمق بحيث لا تعالج بالبرهان العقلي،

ولا حتى بالمنطق الوجداني؛ ولا تعالج كذلك بالواقع العام الذي يراه العيان ، إنما يكون العلاج بالتجربة الشخصية الذاتية المباشرة ، التي يمتلئ بها الحس ، ويطنن بها القلب ، دون كلام! فمثلا لو ظلت تحكي للمؤيدين للسلطة الغاشمة في مصر عن ظلمهم وجبروتهم فهم عبيدهم فإذا ما ذاقوا هم ظلمهم وطغيانهم كان التأثير بالغا { فَأَمَّا اللَّهُ جَاءَ غَافٍ ثُمَّ بَعَثَ } ويذكرني هذا بالثورة المصرية التي قدر الله لها انقلبا ويخوض الناس تجربة عملية في ثورة تتجدد ليطمايز الناس ويعلم الجميع علم اليقين الثوار الحقيقيين ومن يحرسون ويضجون في سبيل الله فداء للوطن وحراسة للشريعة وتسقط الأقنعة عن مدعي الثورة ومن يزعمون حماية الشريعة ولو بذلنا كل ما يمكن ما كنا نصل لعشر أو عشرين ما دبره الله .

{ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةً } ومائة عام في عمر الزمن وقت قصير ولا حساب للزمن ولا عبرة للقوانين المادية عند الله فهو لا يحتاج إلي سبب ليفعل ما يريد { فَأَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ } الطعام الذي لا يلبث وقتا ويتغير ظل مائة عام وبأمر الله لم يتغير { وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ } الحمار والعظام التي تبقى سنوات هلكت ومات الحمار وتحلل ، إنها آيات الله { وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ } فانظر أيها السائل لتري كيف يحيي الله الموات ويعمر الخراب {وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا } إنه يري ويشاهد عظام حماره وهي تتجمع وتلتحم وتكسى لحما وعصبا وعروقا ودما وتذب فيها الحياة من جديد أرايت أيها السائل وتيقنت في قدرة الله وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء؟! { ؟ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } نعم أعلم هذا وأنا أعلم أهل الأرض بهذا فقد رأيته رأي العين وعشته بنفسي . وقراءة أخرى {قَالَ أَعْلَمُ } أمر له ولكل من يقرأ القرآن أن يعلم ويتعرف علي الله ويتيقن أن الله علي كل شيء قدير فلا يسأل : كيف ؟ مع قدرة الله .

والثوار الأحرار وعلي رأسهم الزعيم الدكتور محمد مرسي عرفوا أن الله علي كل شيء قدير فحملهم علي الصمود طوال هذه الأشهر . ولكن ليطمئن قلبي:

وأعلم أنكم تتطلعون إلي إحقاق الحق ونصر من الله وفتح قريب وإلي يوم تُرَدُّ فيه المظالم ينال الشهداء حقوقهم وينال الظالمون جزاءهم وتتشوقون إلي تحقيق وعد الله للمؤمنين الصابرين وإنه لات بإذن الله ومن أصدق من الله قولا ؟!!!

وهنا وقفة مع الخليل إبراهيم عليه السلام إنه يؤمن تمام الإيمان أن الله علي كل شيء قدير، وإحياء الموتى غيب ويريد أن يجعله شهادة ويجعل علم اليقين عين اليقين فيري ويشاهد سر الصنعة الإلهية ويرى قدرة الله وهي تعمل { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَالِ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فُذُؤْ أَرَبْعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرُوهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَهِيقًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (البقرة: 260) ربنا إننا نعلم أنك علي كل شيء قدير وأنت عزيز حكيم غير أننا نتشوق إلي مشاهدة قدرتك وعزتك وحكمتك في دحض هذا الانقلاب وكسر هذا الظلم ونشتاق إلي الحرية ونرنا إلي ميزان العدالة القويم ونأمل أن نكون من جيل النصر ومن رجال تقام علي أيديهم خلافة راشدة تُحرر فيها المقدسات ويُعز في الإسلام ويُرفع المسلم رأسه عزة بالله وبدينه وظننا بك أنك لن تخذلنا أبدا .

معرفة الله قوة وحفظ:

إذا كنت مع القدير شعرت بالقوة وإذا عرفت قدرة الله عز وجل تشعر بالضعف أمامه وتري نفسك صغيرا بدون معونته ويحكمك هذا علي العدل والإنصاف خوفا من بطشه وجبا في معيته إذا عرفت الله وقدرته وقدره خضعت له واستعنت به واعتمدت عليه وتوكلت عليه فأصبحت أقوى الأقوياء وإذا عرفت قدرته صغرت نفسك ووقفت عند حدّها وافتقرت إليه

ولذلك تري الأحرار في ميادين الحرية والجهاد قلوبهم معبأة بالثقة في النصر وكسر الانقلاب لا لأننا أقوياء ولا لأننا كثرة ولا لأننا نملك أسباب النصر ولكن لأننا نحتمي ونتوكل ونأوى إلي ركن شديد إلي القوي العزيز .

تخيل شخصا عنده قضية في المحكمة ومعه محام ماهر، موسوعة قانونية لم يخسر قضية في حياته نحن هذا، الشخص قضيتنا الشرعيّة ومحامينا الله وكُلّنا وفؤُنا الأمر إليه .

تخيل شخصا عنده عملية جراحية وذهب إلي جراح عالمي صاحب خبرة ومهارة عالمية وأجرى نفس العملية مرات عديدة بنجاح ويسر وسهولة فهو مرتاح البال واثق من شفائه ، وقد أصيبت مصر بمرض عضال يسمى الانقلاب والغدر وهي الآن في غرفة العمليات وطبيبها الشافي الكبير المتعال القدير العزيز الحكيم الذي مجرات الكون بيده ولا يعجزه شيء في أرض أو سماء . إذا فلتستقر قلبا ولتهدأ بالاً]

إنه الإيمان . والثقة . والاطمئنان . . الإيمان بالله ، والثقة بوعده ، والاطمئنان إلى نصره . . الإيمان الذي يخالط القلب فإذا وعد الله بالنصر حقيقة ملموسة في هذا القلب لا يشك فيها لحظة . لأنها ملء يديه ، وملء قلبه الذي بين جنبيه ، وليست وعداً للمستقبل في ضمير الغيب ، إنما هي حاضر واقع تتملاه العين والقلب . عزة الإيمان واستعلائه الذي حمل النبي الله هود عليه السلام وهو الرجل الفرد الذي يتحدّى قوما غلاظا شدادا { قَالَ إِنِّي أَنُشِهُدُ اللَّهَ وَأُشْهِدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (هود: 53-56)

وفي هذه الكلمات القوية الحاسمة ندرك سر ذلك الإستعلاء وسر ذلك التحدي ، إنها ترسم صورة الحقيقة التي يجدها نبي الله هود عليه السلام في نفسه من ربه إنه يجد هذه الحقيقة واضحة إن ربه ورب الخلاق قوي قاهر { مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا } وهؤلاء الغلاظ الأشرار من قومه إن هم إلا دواب من تلك الدواب التي يأخذ ربه بناصيتها ويقهرها بقوته قهراً . فما خوفه من هذه الدواب وما احتفاله بها؛ وهي لا تسلط عليه إن سلطت إلا بإذن ربه؟ وما بقاءه فيها وقد اختلف طريقها عن طريقه؟

إن هذه الحقيقة التي يجدها صاحب الدعوة في نفسه ، لا تدع في قلبه مجالاً للشك في عاقبة أمره؛ ولا مجالاً للتردد عن المضي في طريقه .

غياب المعرفة سبب طغيان :

وهؤلاء يستعلون عن جهالة ويتكبرون عن حقارة ويزهون عن ضلالة وإذا غابت عن الإنسان قدرة الله تعالى وجد نفسه قويا قادرا مالكا فيظلم الناس ويعتدي عليهم فيقتلهم ويسجنهم ويقصيمهم ويغتصب نساءهم وينهب ثرواتهم .

كما قال الله تعالى {كُلًّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ * أَلَمْ يَرَأَ أَنَّهُ بَالِغٌ فِي نَسَبِهِ * لَمَّا خَلَّصْنَا مِنْ يَدَيْهِ ثُمَّ رَأَيْنَاهُ إِذْ لَاقَى رَبَّهُ أَنَّهُ مَثْبُورٌ * ثُمَّ رَأَيْنَاهُ إِذْ لَاقَى رَبَّهُ أَنَّهُ مَثْبُورٌ * ثُمَّ رَأَيْنَاهُ إِذْ لَاقَى رَبَّهُ أَنَّهُ مَثْبُورٌ } (العلق: 6-7) فالإنسان ذو فرح وأشر وبطر وطغيان، إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله]

عَنْ أَشْقَاءَ بَنَاتٍ غَمَيسٍ الذُّنُوعِيَّةِ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « يَنْسُ الْعَبْدُ عَبْدًا تَخَيَّلَ وَاخْتَالَ وَنَسِيَ الْكَبِيرَ الْفُتَعَالَ يَنْسُ الْعَبْدُ عَبْدًا تَجَبَّرَ وَاعْتَدَى وَنَسِيَ الْجَبَّارَ الْأَعْلَى يَنْسُ الْعَبْدُ عَبْدًا سَهَا وَلَهَا وَنَسِيَ الْمَقَابِرَ وَالْبِلَى يَنْسُ الْعَبْدُ عَبْدًا غَدَا وَطَغَى وَنَسِيَ الْمُبْدَا وَالْمُنْتَهَى يَنْسُ الْعَبْدُ عَبْدًا يَخْتَلُ الدُّنْيَا بِالْدِّينِ يَنْسُ الْعَبْدُ عَبْدًا يَخْتَلُ الدِّينَ بِالسُّبُهَاتِ يَنْسُ الْعَبْدُ عَبْدًا طَمَعٌ يَقُوْدُهُ يَنْسُ الْعَبْدُ عَبْدًا

هَوَىٰ يُضِلُّهُ بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ رَّعْبٌ يُذِلُّهُ « رواه الترمذي والحاكم في المستدرک وصححه ورواه البيهقي في الشعب من حديث نعيم بن عمار وضعفه .

إمام وخطيب ومدرس بوزارة الأوقاف
abdelwahabemara@yahoo.com